ماتي شموئيلوف(*)

العرقية واليسار الإسرائيلي

٢٠١٣

لا يضم اليسار الإسرائيلي حتى الآن اليهود الشرقيين في إسرائيل. وقد صادفنا المثل الصارخ على ذلك في انتخابات ٢٠١٣ حين اختار كل من «حداش» (الجبهة الديمقراطية) و«ميرتس» قيادته التي لم تضم شرقيين، ما يعني عدم تمثيل ملايين المواطنين، وإفراغ مقولات الأحزاب اليسارية مقولات حول المساواة والعدالة الاجتماعية من معانيها.

وأظهرت أحزاب اليسار التي حملت وسام الأحزاب الأكثر اجتماعية الوجه الأكثر قبحًا في السياسة الإسرائيلية. فالأشكنازية باعتبارها وصمة عار اجتماعي، والتي أقصت الشرقيين خلال عقود كاملة منذ قيام الدولة وحتى الانقلاب العام ١٩٧٧، تعود لتسيطر. أولاً: اختارت الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة عضو كنيست قائدًا، وعضوي الكنيست حنا سويد ودوف حنين في المكانين الثاني والثالث، ورفضت اقتراحاً بتخصيص أماكن مضمونة للنساء لعضوية الكنيست. وانتخب الدكتور عفو اغبارية ليكون في المكان الرابع، والدكتوره نبيلة اسبنيولي لتكون في المكان الخامس، في حين «احتلّ» أيمن عودة، سكرتير الجبهة الديمقراطية، المكان السادس. وياعيل بن ييفت، ولم تتمكن المديرة العامّة لمنظمة «القوس الديمقراطي الشرقي» وعضو بلدية تل أبيب سابقًا عن قائمة «مدينة للجميع» والشرقية الواعية، من الفوز بمكان مضمون. وفي حزب «ميرتس» أيضًا لم يجر انتخاب شرقي في مكان مضمون (إذا ما افترضنا أن المقاعد الستة هي أقصى ما تستطيع القائمة الحصول عليه، حسب غالبية الاستطلاعات). وباستثناء رئيسة الحزب، زهافا غَالئون، التي خُصص لها المكان الأول في القائمة، فقد انتُخب

(*) شاعر وصحافي إسرائيلي- تل أبيب

وعلى الرغم من مرور أكثر من ستين سنة على قيام دولة إسرائيل، فإن الإقصاء السياسي يبدو وكأن عمره سنة.. الإقصاء غير مرتبط بالأصل. فمن جهة هناك الأشكنازيون في ميرتس، ومن جهة ثانية العرب – الإسرائيليون في الجبهة الديمقراطية. ومن جهة نجد الأيديولوجيا الخضراء والتأييد لحقوق المثليين والمثليات في ميرتس، ومن جهة ثانية نجد الاشتراكيين الديمقراطيين، والشيوعيين المؤيدين للفلسطينيين في الجبهة الديمقراطية.

عضو الكنيست إيلان غيلئون في المكان الثاني وعضو الكنيست نيتسان هوروفيتس للمكان الثالث. وفازت بالمقعد الرابع ميخال روزين، رئيسة إدارة ميرتس، وفاز بالمكان الخامس ممثل المجتمع العربي، المحاسب عيساوي فريج، وبالمكان السادس عضو بلدية تل أبيب، تمار زندبرغ.

كتب الكاتب نير برعام: «... إنك ترى ائتلافات بين أحزاب اليسار والوسط في العالم، بين جماعات عرقية مختلفة، بين شباب وبالغين، وعندما ترى اليسار (في إسرائيل) يلوّح بأشكنازيته فأنت لا تصدّق. قائمة ميرتس تُرجع أيضًا أصداء المواجهات المغلقة في الفيسبوك بين ٨ أشكنازيين من تل أبيب مؤيدين لميرتس و٤ من جماعة دوف حنين. ويتساءل المرء أحيانًا أين بقية الإسرائيليين؟ ألا توجد لليسار – الوسط في إسرائيل ائتلافات تضم الجماعات المختلفة، الروس أو الشرقيين، ألا يوجد شباب؟، توجد فقط الأوساط المعروفة والمتقلصة التي كانت دائمًا موجودة، الأشكنازيون، القدامى، الكيبوتسات (هل يذكركم ذلك بحزب معين في الولايات المتحدة خسر الانتخابات الآن؟). يقولون لنا إنه من المهم أن تكون ميرتس، وأنهم مرّروا قوانين – هذه هي لغة الجماعة المنغلقة التي تدافع عن نفسها وتصرّ على ألاّ تتغير. وهذا لن يقود إلى أي مكان. إذا ما أراد أي شخص أن يؤثر اليسار على حياتنا هنا، أو ربما أن ينتصر في الانتخابات بحيث يستطيع أن يعمل ويغير الأمور، فيجب أن يحدث التغيير الثوري في المبنى السياسي لليسار في إسرائيل».

تحدثت المترجمة أورلي نوي كذلك عن خيبة أمل أحزاب اليسار هذه حين لا تحظى بالتعاطف في أوساط الشرقيين: «الأولى، ميرتس، تختار إذلال نفسها بشعارات انتخابية غبيّة تشرح لنا أين القلب، ولكنها لا توضّح لنا أين الشرقيين في القائمة. وتتحدث الثانية (الجبهة الديمقراطية) بلغة فخمة وطنانة عن التغيير والثورة، ولكنها تفقد أعصابها لكي تحافظ على الأنظمة والترتيبات القديمة، والتي بشكل دائم لا تشمل الشرقيين».

وعلى الرغم من مرور أكثر من ستين سنة على قيام دولة إسرائيل، فإن الإقصاء السياسي يبدو وكأن عمره سنة.. الإقصاء غير مرتبط بالأصل. فمن جهة هناك الأشكنازيون في ميرتس، ومن جهة ثانية العرب – الإسرائيليون في الجبهة الديمقراطية. ومن جهة نجد الأيديولوجيا الخضراء والتأييد لحقوق المثليين والمثليات في ميرتس، ومن جهة ثانية نجد الاشتراكيين الديمقراطيين، والشيوعيين المؤيدين للفلسطينيين في الجبهة الديمقراطية.

كيف نستطيع أن نشرح لأطفالنا أن كل أولئك الذين تفاخرون بالرغبة في التغيير وخلق يسار جديد مارسوا ممارسات مباي (سلف حزب العمل الإسرائيلي) نفسها. ما هي أسباب رفض الشرقيين والاشمئزاز منهم؟ هل يريدون أن نجلس في معسكر اليمين وأن نكره عروبتنا؟ هل يريدون أن نصرخ الموت للعرب؟ وهل يريدون الترفّع عنّا وأن يقولوا: «انظروا إلى هؤلاء المضاريب، لقد صوّتوا مرّة أخرى لبيبي نتنياهو الذي أجلسهم من قبل على خازوق».

نظرة تاريخية

التمييز بين الشرق والغرب هو تمييز قيَميّ هرميّ استُخدم كسياق أنطولوجي وإبستمولوجي (وجوديّ ومعرفيّ) ليشكّل روح الصهيونية، وداخل هذا السياق وُلدت الصهيونية التي كانت مشبَعة بالمفاهيم القيَميّة المرتكزة على التوتر بين المركزانية الأوروبية والاستشراق الذي تكون ضمن هذا السياق. التوتر بين الصهيونية والشرقانية هو حالة خاصة من حالات التوتر بين الاستشراق والمركزانية الأوروبية. وقد تغذّت الصهيونية من المركزانية الأوروبية، وبدورها غرست في مجالات الحياة المختلفة (السياسة، علم الاجتماع، الجيش، الأيديولوجيا، والعِلم) التشابه الجماعيّ في المعرفة والقيم. وجرى بواسطة المعرفة والقيم ذاتها تحديد أطر الارتباط ووُضعت معايير الانتماء لـ«المجتمع

سعت الثقافة العبرية من جهة ثانية إلى نفي المنفى (الذي شمل الشتات العربي وأيضًا الشتات الأوروبي مثل الثقافة واللغة اليديشية وغيرها). وسعت في الوقت نفسه إلى إزالة المركّبات العربية في هذه الثقافة (العدوّ عبر الحدود). لقد مثّل المنفى المركّبات الضعيفة في الجسد الصهيوني الجديد. ومجيء اليهود – العرب إلى إسرائيل (الجيل الأول) بعد قيام الدولة لم يجلب منفىً مخيفًا ومهدّدًا من البلدان التي تعتبر متخلفة ومنحطة فقط، بل أشار ذلك إلى «ثقافة العدو» العربي (من داخل وخارج إسرائيل).

الإسرائيلي» ومؤسساته التي كانت في طور التكوين. وجرى ضمن هذه الأطر تعريف «الأنا» الإسرائيلي الذي تأسّس على الروح الصهيونية التي هي في جوهرها مركزانية أوروبية. هذه الروح قدّمت إجابات للسؤال «من نحن» بطريقة معادية أو مضادّة مع التشديد على هوية «الآخر». «نحن» هم الذين أخذوا على عاتقهم أن يكونوا معادين للتقاليد ومعادين للمنفى ومعادين للتديّن.. مفهومان أساسيّان رئيسيّان أرسيا وعزّزا الوعي الصهيوني – «العودة إلى التاريخ» و«نفي المنفى».

تميّزت الحركة الصهيونية منذ بداية طريقها بصياغة خطاب متضارب وممارسات متناقضة تجاه ثقافة الشرق. وما بين تعريف الثقافة الشرقية واعتبارها ثقافة بدائية وجامدة، وما بين الرغبة في إنتاج ثقافة قومية شبه أوروبية تتراسل مع الشرق الأوسط، أخذت الثقافة العبرية نماذج من المركّبات «الشرقية» وزاوجتها مع مركّباتها «الغربية». الموسيقى الشرقية هي مثال جيد على تعامل الصهيونية مع الاستشراق، فالمزيج اليهودي – العربي في الموسيقى الشرقية أفرز حرّاس الثقافة العبرية (انظروا لاحقًا: نقاشي مع أقوال يهورام غَاؤون حول الموسيقى الشرقية العام ٢٠١١). فقد أرادت الثقافة العبرية الصهيونية من جهة «العودة إلى التاريخ» وخلقت فراغًا محددًا للموسيقى الشرقية التي كانت مرتبطة بالتاريخ والتقاليد العربيين؛ فالعودة إلى التاريخ هي مطلب لأن تكون مثل سائر الشعوب المنتمية إلى استمرارية تاريخية أوروبية. لقد أرادت الحركة الصهيونية التي ولدت في اوروبا أن تكون جزءًا من التاريخ القومي لبقية الشعوب التي اكتشفت هويتها القومية. وأسست الحركة الصهيونية لدى نشوئها تاريخًا قوميًا جديدًا خاصًا بها واكتشفت جذورها «القديمة» التي بدت كأنها كانت قائمة في الماضي البعيد في عهد التوراة. الشرقيون الذين قدموا من الدول العربية حاملين التقاليد والتاريخ اليهودي العربي لم يتمكنوا من الاندماج في هذه الاستمرارية التاريخية الأوروبية. التقاليد العربية الخاصة باليهود – العرب جرى رفضُها وذلك لأنها كانت بمثابة «حقائق اجتماعية» هدّدت الاستمرارية التاريخية اليهودية ذات التوجه المركزاني الأوروبي، وهدّدت دخول اليهود الأوروبيين التاريخ القومي «من جديد».

سعت الثقافة العبرية من جهة ثانية إلى نفي المنفى (الذي شمل الشتات العربي وأيضًا الشتات الأوروبي مثل الثقافة واللغة اليديشية وغيرها). وسعت في الوقت نفسه إلى إزالة المركّبات العربية في هذه الثقافة (العدوّ عبر الحدود). لقد مثّل المنفى المركّبات الضعيفة في الجسد الصهيوني الجديد. ومجيء اليهود – العرب إلى إسرائيل (الجيل الأول) بعد قيام الدولة لم يجلب منفىً مخيفًا ومهدّدًا من البلدان التي تعتبر متخلفة ومنحطة فقط، بل أشار ذلك إلى «ثقافة العدو» العربي (من داخل وخارج إسرائيل). أدّت هذه الدوافع إلى رفض ومنع ونفي كبير لكل ما هو مرتبط بثقافة الشرق. وبسبب ذلك نشأت معارضة للثقافة الشرقية التي مثّلت جزءًا كبيرًا من التقاليد الشرقية (وعلى الأقل الأشكال الحضارية التي أنشأها الجيل الأول الشرقي، الذي تحدث حتى الآن بالعربية، وكان ذا ثقافة عربية وذاكرة تشكل جزءًا من استمرارية الوعي اليهودي – العربي).

سنوات السبعينيات - «الفهود السود»

انخرط «الفهود السود» في العامين ١٩٧٢ و١٩٧٣ في مظاهرات كبيرة وفي معارضة عنيدة للنظام الصهيوني. وكان قادة «الفهود السود» من بين اليهود الشرقيين الأوائل الذين اجتمعوا مع منظمة التحرير الفلسطينية وحركة التحرر الوطني الفلسطيني. وقد بذل النظام الحاكم الصهيوني الأشكنازي كل ما في وسعه لمنع

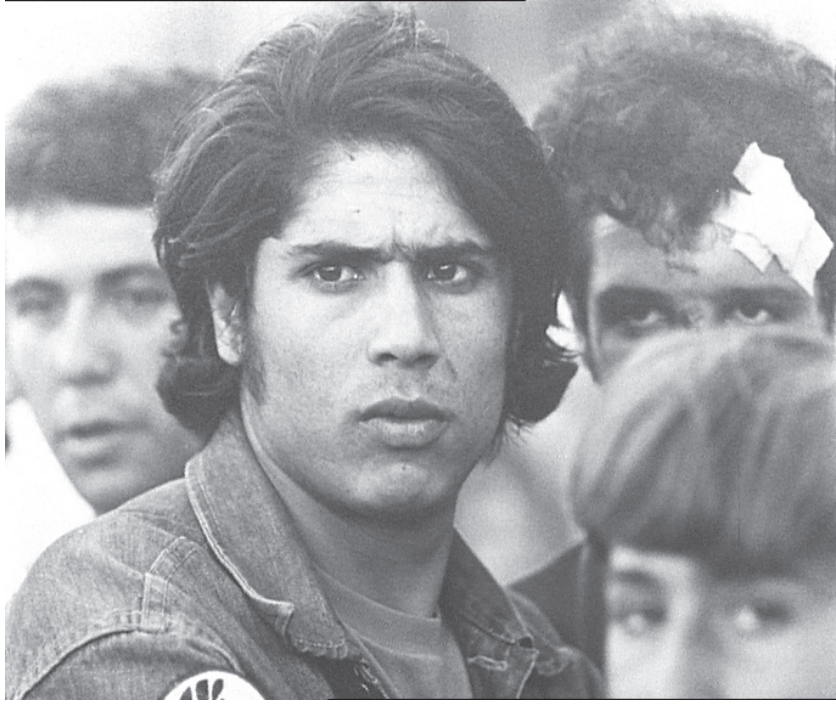

من تظاهرة لـ «الفهود السود».

التواصل بين قادة اليهود الشرقيين والقادة الفلسطينيين المتماثلين في الهوية وطبقيًا واجتماعيًا. وسنّ الكنيست الإسرائيلي قانونًا منعَ اللقاءات مع قادة منظمة التحرير الفلسطينية الذين اعتُبروا أعداء للدولة الصهيونية – الإسرائيلية. وكان مؤتمر مدريد واتفاق أوسلو الذي أدى إلى اعتراف دولة إسرائيل بمنظمة التحرير الفلسطينية كقائد رسميّ لحركة التحرر الوطني الفلسطينية، بمثابة تجديد ثوري ونادر.

لقد أدرك تشارلي بيطون، بانضمامه إلى حزب راكاح، أن الهوية الشرقية هي هوية عربية – يهودية، وأن مثل هذه الهوية لا يمكن دمجها وشملها في الهوية الصهيونية الأوروبية في المكانة المتساوية المناسبة لها. والهوية الصهيونية هي جزء من الحركة الصهيونية التي نشأت في قارّة أوروبا والتي كان مفكروها بأغلبيتهم أسرى الفهم الاستشراقي. وهذا الفهم لا يستطيع أن يحتوي بمساواة وبدون تشويه الهوية العربية والشرقية التي هي جزء من هوية العالم الثالث. ومن المهم أن نرى كيف أصبح اليوم الربط الذي حدث داخل حركة الفهود السود في ذلك الوقت جزءًا من النقاش حول هوية ما بعد الكولونيالية.

كانت حركة «الفهود السود» مبدعة في مجالات عديدة أخرى. فقد استمدّت اسمها، مثلاً، وأفكارًا رئيسية أساسية من حركة «الفهود السود» التي نشأت بعد مقتل زعيم الحركة الانفصالية للسود الأميركيين المعروف مالكولم إيكس، وبذلك أوجدت الوسم الأيديولوجي والربط بين نضال الأميركيين من أصول إفريقية في الولايات المتحدة بشكل خاص والحركات الإفريقية بشكل عام، والنضال اليهودي الشرقي – الفلسطيني في إسرائيل.

وعرفت حركة «الفهود السود» أيضًا أن تجد التماثل بين نضالها ونضال الحركات المعادية للاستعمار في العالم الثالث، وأظهرت بذلك العلاقة بين الترانسفير الشرق – أوسطي الذي نفذته القيادة الأشكنازية الأوروبية الكولونيالية ضد الفلسطينيين، أبناء البلد الأصليين (الذين عاشوا هنا بأمان واطمئنان نحو خمسمئة سنة)، وحملة «استيراد» العبيد السود، يهود الدول العربية، الذين عاشوا هم أيضًا بأمان واطمئنان نسبيّ (لا تتضمّن أقوالي محاولة لتصوير حياة اليهود في الدولة الإسلامية بطريقة رومانتيكية، ولكن من الصعب تجاهل حقيقة حدوث كارثة اليهود في أوروبا وليس في الدول العربية، على سبيل المثال). وكل ذلك حدث بعدما أدركوا أنه لا يوجد يهود أوروبيون بما فيه الكفاية لجلبهم إلى الدولة، فقد أبيدوا خلال الكارثة أو هاجروا إلى الولايات المتحدة ودول أخرى.

ثمّة ربط مبدع آخر استحضرته حركة «الفهود السود» وهو انضمام قادتها إلى قادة حركة «ماتسبين» الماركسيين، وبذلك شخّصوا النظرة الماركسية تجاه قمع الشرقيين في البلاد ومساهمتها في النضال ضد سلطة النخبة.

هناك مدماك آخر في نضال «الفهود السود» هو دفعهم باتجاه صنع الانقلاب في صناديق الاقتراع العام ١٩٧٧ . وقد رافقت ثورتهم هذه أيضًا ثورة ثقافية، شملت شعر إيرز بيطون وموسيقى شلومو بار، وفرقة «الخيار الطبيعي»، ودراما مسرح جبرئيل بن سمحون، وظهور الكتابة النسائية الشرقية مثل جاكلين كهانوف، وبعد ذلك الشعر والأدب المسرحي لدى براخا ساري وآخرين.

انقلاب ١٩٧٧ وانتخابات ١٩٨١

حدث في العام ١٩٧٧ الانقلاب الذي صنعه حزب حيروت (الليكود – المترجم) والذي حظي بأصوات الشرقيين وأطاح بحزب مباي عن سدّة الحكم الذي استمرّ عشرات السنين، وذلك منذ أيام الهجرة الثانية. ولكن هذه الانتخابات خبّأت في داخلها الخطر الأكبر، فقد انضمّ حزب «داش» (الحركة الديمقراطية للتغيير – المترجم) إلى نجاح «حيروت» ودخل الكنيست. قضت المركّبات الليبرالية لرأس المال سواء داخل الليكود أو داخل «داش» على إمكانية تشكيل حكومة رفاه اجتماعي، وإنجازات حكومة رابين التي سبقت الحكومة الجديدة اختفت. وكان رابين قد ضاعف مرّتين وثلاث مرّات ميزانيات الرفاه الاجتماعي والتعليم والصحة، وذلك في أعقاب العصيان الكبير الذي خاضه «الفهود السود».

وكانت في العام ١٩٨١ الانتخابات التي اطلق فيها المرحوم

جرت الانتخابات في العام ١٩٩٩ في الظل ثقيل الوطأة لمقتل رابين، وسعى نتنياهو إلى الربط بين كراهية الآخرين بعضهم لبعض مثل الروس والشرقيين، وكراهية العربي الآخر. ولكن باراك فاز في هذه الانتخابات. وهتفت جماهير «اليسار» في الساحة العامة للمدينة : «فقط بدون شاس!». هذه هي إحدى الصرخات العنصرية الأكثر وضوحًا وجلاءً ومن الصعب أن تُنسى. كانت هذه الانتخابات حول مستقبل عملية أوسلو التي بدأت تلفظ أنفاسها. ولكنها جلبت الازدهار الاقتصادي الذي تخطى معظمه اليهودَ الشرقيين.

دودو طوباز على اليهود الشرقيين لقب «تْشَخْتْشَخيم» (*) واستغلّ مناحيم بيغن هذا القول ليدخل الشرقيين تحت خانة «اليهود». وهي الفئة التي تقابل فئة «العرب». ووسّع بيغن المستوطنات ونطاق الاستيطان، وشمل جزء من ترقية الشرقيين أيضًا مشاركتهم في مشروع الاحتلال. آمن اليهود الشرقيون بليبرالية بيغن وبقدرتهم على الاندماج في سوق العمل والتقدم من خلال ذلك، ورفضوا الاشتراكية المقصورة على الأشكنازيين في مباي الذين اعتنوا بأنفسهم وبمن هم على شاكلتهم فقط. وقد أبرز حزب تامي (حركة تقاليد إسرائيل) نهوض الإنتلجنتسيا الشرقية. وظهر هذا الحزب على خلفية التمييز المنهجي ضد الشرقيين في المفدال (الحزب القومي المتدين). وقد وحّد الحزب في نضاله الشرقيين – من التجمع العمالي أوزان، ومن المفدال فؤاد وفيكي شيران. وكان ذلك هو المؤشر الذي دفع حزب شاس إلى الساحة العام ١٩٨٤ . اعتقد الأشكنازيون في هذه السنوات أن الدولة سُرقت منهم في معارك الانتخابات التي جرت الواحدة تلو الأخرى، ونما الخوف من الشرقيين وتعاظم.

١٩٩٩

جرت الانتخابات في العام ١٩٩٩ في الظل ثقيل الوطأة لمقتل رابين، وسعى نتنياهو إلى الربط بين كراهية الآخرين بعضهم لبعض مثل الروس والشرقيين، وكراهية العربي الآخر. ولكن باراك فاز في هذه الانتخابات. وهتفت جماهير «اليسار» في الساحة العامة للمدينة : «فقط بدون شاس!». هذه هي إحدى الصرخات العنصرية الأكثر وضوحًا وجلاءً ومن الصعب أن تُنسى. كانت هذه الانتخابات حول مستقبل عملية أوسلو التي بدأت تلفظ أنفاسها. ولكنها جلبت الازدهار الاقتصادي الذي تخطى معظمه اليهودَ الشرقيين. وفضلت النخب ان يعود باراك إلى طريق رابين وأن يجلس مع المتديّن القومي ومع ممثلي المستوطنات، ولكنها لم تستطع تصوّر شمْل شاس ضمن اليسار. (وبعد ذلك أعربوا عن دهشتهم حين أصبحت شاس قومية متطرفة تخاف الأجانب وتكرههم، وحين أصبحت المتعاون الأكبر مع نتنياهو خلال السنوات العشر اللاحقة). لأول وهلة يبدو أن باراك احتوى الصوت الشرقي في قائمة «جيشِر» برئاسة دافيد ليفي، ولكن لم يكن هناك جسر حقيقيّ. كان هناك العكس تمامًا.

٢٠١١

وفي العام ٢٠١١ بشّرونا بأوراق نقدية جديدة، ستظهر عليها صور شعراء أشكنازيين فقط. ولم يسمع، على ما يبدو، قاضي المحكمة العليا المتقاعد، يعقوب تيركل، عن العصيان الشرقي. تقفز الأوراق النقدية الجديدة عن مصائب الحاضر، مباشرة إلى أرض إسرائيل الجملية التي يتصورونها.

و كان من المفروض في السنة نفسها (٢٠١١) ان تختار لجنة تعيين القضاة قضاة جددًا للمحكمة العليا، ولكن لم يجدوا ضمن الأسماء المقترحة قضاة شرقيين. وهكذا شاهدنا المسّ بمبدأ المساواة الدستورية. لقد سعى الجهاز القضائي إلى إبقاء جمهور كامل غريبًا عن الديمقراطية. واعتقد وزير القضاء، يعقوب نئمان، أنه لا يوجد سبب منطقي لتعيين قاضٍ استنادًا إلى أصله. وحسب أقواله «هذا حَمْل اسم السفارديم عبثًا. سمعت عن شخص من أصل شرقي (سفاردي) خالص كان رئيسًا للجنة تعيين القضاة لسنوات طويلة. وهو في الوقت الحاضر محامٍ عادي. اسمه موشيه نسيم... أنا أيضًا من أصل شرقي. لقد جرى إجلاء أجدادي من إسبانيا. أنا أرفض طريقة تعيين شرقي بدلاً من شرقي، وأرفض القول بأن هذا المنصب للشرقي وهذا المنصب لامرأة. يجب تعيين حكماء القانون الأفضل. هذا هو الاعتبار عندي، لا عربي ولا أشكنازي ولا امرأة، بل الأفضل». هذا العمى الليبرالي لدى وزير القضاء يظهر لنا تجاهله الصارخ

(*) كلمة عامية مسيئة للسمعة، تستعمل عادة ضد اليهود من شمال إفريقيا.

لملايين الشرقيين في إسرائيل الذين قدم آباؤهم من الدول العربية، والذين لم يجدوا بينهم قاضيًا واحدًا مناسبًا. فالحجة التي تقول بأن الجيدين فقط يدخلون المحكمة العليا لا تصمد للوهلة الأولى أمام امتحان الواقع. وهذه بالمناسبة الحجة نفسها التي تقدم ضد الشرقيين في مجالات أخرى. وحين نسأل أين كبار الشرقيين والشرقيات في قائمة الحائزين على جائزة إسرائيل، فالجواب هو أن الاختيار لا يجري حسب الأصل، ولكن هذا هو التظاهر بالسذاجة وثمنه الاجتماعي هو الاغتراب وتقليص الأفق المناسب للإسرائيلية.

لا تظهر العنصرية لدى اليسار الإسرائيلي فقط في التمثيل، بل في الوَسْم في أقوال السياسيين. في المجتمع الإسرائيلي إلصاق الوصمات أسهل من مواجهة النجاح. لقد خضع عمرام متسناع للسياسة المتدنية جدًا التي تلصق الوصمات بزعيم موهوب وتحاول أن تجعله غير شرعي أمام ناخبيه. المرشحون لقيادة حزب العمل جيدون جدًا في إبراز العنصرية الأشكنازية. ويمكن أن نذكر أقوال جيجي بيرتس شقيق شمعون بيرتس، حين فاز عمير بيرتس في الانتخابات على زعامة حزب العمل. «لقد سيطرت كتائب شمال إفريقيا على الحزب». وبعد ذلك سمعنا أقوال بوجي هيرتسوغ الذي ألصق ثلاثة أوصاف بعمير بيرتس: «غير مجرِّب، عدواني، ويهودي مغربي». وجاء عمرام متسناع العام ٢٠١١، المرشح ذو الاحتمالات القليلة، الفاقد للكاريزما، الذي أراد أيضًا مداهنة مصوّتيه العنصريين. وحسب ما نُشر تحدث متسناع عن عمير بيرتس بالمقارنة مع المرشحين الآخرين لزعامة الحزب بالقول: «لهيرتسوغ ويحيموفيتش قيمة مضافة هائلة. هما يختلفان عن عمير بيرتس الذي جاء من بلاد مختلفة. بالإمكان أن تبني معهما طاقم عمل ناجعا بعد الانتخابات. هذا الأمر لم يكن متوفراً خلال فترتي السابقة، حيث اهتمّ الجميع بالمصلحة الشخصية فقط. هذه المرّة يمكن أن يكون الأمر مختلفًا». عمير بيرتس الذي نجح بقدراته السياسية الممتازة في ضم منتسبين كثيرين إلى صفوف الحزب متّهَم بأنه «كائن غريب». السياسي الكُفء الذي قدّم للحزب مؤهلاته الممتازة وقدراته العالية يصبح مخلوقًا غريبًا من «كوكب آخر».

وكتب المفكر والكاتب إيال ميجد في السنة نفسها (٢٠١١) رأيًا في زاوية آراء في صحيفة «معاريف» اليومية، وفي الموقع الإلكتروني «إن آر جي» (nrg) في ٢٠١١/٨/١٨ تحت عنوان «نموذج ضخم للتقليد». وكان هذا الرأي مثالاً للكتابة التي تحطم الرقم القياسي في العنصرية ضد الشرقيين. في تلك الفترة عاشت الفنانة مرغليت صنعاني ظروفًا صعبة جدًا، وربما بسبب

اليهود الشرقيون: دور ذيلي في المشروع الكولونيالي.

حساسيتها وعُرضتها للهجوم، قرّر ميجد ركوب قطار العنصرية. إيال ميجد هو أحد متحدثي النخبة – وعائلة ميجد عائلة أدبية احتلت موقعًا في تحديد القيم والميول والنزعات والهوية في المجتمع الإسرائيلي. وإيال ميجد، كما هو معلوم، كاتب وشاعر إسرائيلي، ابن الكاتب أهارون ميجد والكاتبة إيدَه تسوريت. وهو متزوج للمرّة الثانية من الكاتبة والمحررة تسرويا شليف والفائز بجائزة رئيس الحكومة للكتاب العبريين للعام ٢٠٠٤.

أشار عنوان العمود في الصحيفة بشكل جيد إلى ما تلاه: «قضية مرغليت ليست المجتمع الإسرائيلي، إيجابًا وسلبًا» بل المجتمع في سلبياته، وما يطلق عليه «إسرائيل الجميلة» هو شيء ضئيل بالمقارنة مع المُتوسطيّة (نسبة إلى البحر المتوسط) التي يلمع نجمها في الدراما المرغليتية (نسبة إلى مرغليت صنعاني – المترجم). المطلوب الإشارة إلى تشويه السمعة في أقوال ميجد وليس إلى المسألة القانونية المتعلقة بالتحريض الذي تضمنته أقواله. فقد قال ميجد: «بغضّ النظر عن المسائل الجنائية التي ستُبحث في المحاكم» – وبذلك أراد الحديث عن شرقانية صنعاني وليس عن المسألة التي تُبحَث في المحكمة. وهو بالمفهوم الأساس جدًا، يقدم لائحة اتهام غير قانونية وأخطر بكثير ضد الجمهور الشرقي والعربي المتوسطي كلّه: «نشأت هنا فرصة لتحويل شاشة التلفزيون إلى مرآة تعكس نمط حياة وطبيعة أبطال الحدث وأرباب المال وضباب الكحول الذي يحيط بالنفوس الفاعلة، والإجرام الذي يتشكل كل الوقت ما بين السطور. ولأن تصعق بكل بساطة. هذا هو مجتمعنا بدون تجميل وهذه هي قيمه، وهي في ذلك أكثر من كل شيء آخر نراه على الشاشة في الآونة الأخيرة، وأكثر من الانتفاضة الاجتماعية والخيم».

وقال المؤلف والممثل المعروف يهورام غاؤون، في العام نفسه (٢٠١١)، في مقابلة في صحيفة طلابية في جامعة أريئيل أن «الموسيقى الشرقية قمامة لم يخلق مثلها الشيطان». هذا بالضبط ما قاله المغني الشهير، وقد أثار عاصفة شعبية. هاجم غاؤون الغناء الشرقي ووصفه بأنه «كارثة طبيعية»، كما هاجم العبرية الثقيلة التي تتسم بالتأتأة والأخطاء، والتكرار في الأفكار الرئيسية الموسيقية. صحيح أن غاؤون قيّد أقواله وذكر على نحو إيجابي أغاني أفيهو مدينَه وشلومو بار، ولكنه أكّد إلى جانب ذلك أن «الأغلبية هي عار على الذكاء. أنا أتطلع إلى اللحظة التي تزول فيها هذه الموجة العَكرة، وتخلي مكانها لصالح الجودة».

يقدم إيال ميجد للمحاكمة ويحاكم ويدين شرقانية مرغليت صنعاني باعتبارها أساس تدهور قيم المجتمع الإسرائيلي. فقد سرق الشرقيون، حسب قوله «المجتمع الإسرائيلي» من اليهود الغربيين (الأشكناز). وهؤلاء البرابرة، حسب تعبير يعقوب شبتاي، «كبير» الكتاب الأشكنازيم، الذين تجمّعوا في تل أبيب يخضعون الآن للاختبار. الحراك الاجتماعي من قبل مرغليت صنعاني والغناء المتوسطي – هذا النجاح الكبير لهذه الجماعة – الذي أنجز من القاعدة بعمل كثير وباستخدام التكنولوجيا من أجل تجاوز أحادية الصوت في المجتمع الإسرائيلي – ذلك يبدو لدى إيال ميجد «أرباب مال ملفوفين بضباب الكحول». والنخبة الأشكنازية التي تسيطر حتى اليوم على وسائل الإنتاج في المجتمع الإسرائيلي يعتبرها ميجد شفافة وغير ممتلئة بالرغبة للكحول ولا تصنع الأموال، وقد فازت بموقعها الرفيع بدون أن تدفع جانبًا الجماعات الإثنية والقومية الأخرى وبدون استعمال القوة، حاشا الله.

وقال المؤلف والممثل المعروف يهورام غاؤون، في العام نفسه (٢٠١١)، في مقابلة في صحيفة طلابية في جامعة أريئيل أن «الموسيقى الشرقية قمامة لم يخلق مثلها الشيطان». هذا بالضبط ما قاله المغني الشهير، وقد أثار عاصفة شعبية. هاجم غاؤون الغناء الشرقي ووصفه بأنه «كارثة طبيعية»، كما هاجم العبرية الثقيلة التي تتسم بالتأتأة والأخطاء، والتكرار في الأفكار الرئيسية الموسيقية. صحيح أن غاؤون قيّد أقواله وذكر على نحو إيجابي أغاني أفيهو مدينَه وشلومو بار، ولكنه أكّد إلى جانب ذلك أن «الأغلبية هي عار على الذكاء. أنا أتطلع إلى اللحظة التي تزول فيها هذه الموجة العَكرة، وتخلي مكانها لصالح الجودة».

انضمّ غاؤون في أقواله هذه إلى سلسلة من المؤلفين والفنانين الذين هاجموا علنًا الموسيقى والثقافة الشرقية ومن ضمنهم حافا ألبرشطاين، شالوم حَانوخ، الشاعر نتان زاخ، مناحيم بن وآخرون. لأول وهلة يبدو أنه يجب ألاّ تكون هناك مشكلة مع التفضيلات الشخصية لدى هؤلاء الفنانين. ولكن من الصعب التغاضي عن القضية الشرقية التي تبرز وتتسرّب من بين السطور.

وتجري محاولة تصفية مكانة الموسيقى الشرقية في الوقت الذي بلغت فيه أخيرًا مكانتها المتساوية في مجال الثقافة. فقد وصلت الموسيقى الشرقية في السنوات الأخيرة إلى مكان قريب جدًا من مركز المعيار والمحكّ والمبادئ المقرّرة، وذلك بعد سنوات من الإقصاء والتنكّر لأحد التيارات المركزية في الثقافة الإسرائيلية. صحيح أنه لا يوجد حتى الآن تمثيل متساوٍ للمغنّين في جميع الدوائر، وأن الدائرة الخاصة بـ «الموسيقى الشرقية» لا تزال قائمة، وهي أحيانًا موازية لـ«الموسيقى الإسرائيلية»، ولكن بالإمكان بشكل عام الاستماع إلى التعددية الثقافية حين تتسرب وتظهر.

يبدو أن عرض الموسيقى الشرقية يهدّد يهورام غاؤون. لماذا خرج غاؤون بالذات، وهو من عائلة شرقية، ليهاجم الموسيقى الشعبية المحبوبة جدًا، المتنوّعة، والتي تحظى بالتعاطف؟ ربما لأن التنصل من عامّة الشعب وذوقه الموسيقي يشكّلان إحدى الطرق لتصوير نفسك كنخبة. وها هو غاؤون بالذات يوضع في المربع «الشرقي» في البرنامج التلفزيوني الناجح «أقارب وجيران» الذي كتبه ب. ميخائيل وإفرايم سيدون.

وشاهدنا في أعقاب تصريحات غاؤون سلسلة مقابلات في وسائل الإعلام كرّرت المواقف نفسها. ولكن الموسيقى الشرقية هي جيش الطليعة فقط من أجل المساواة. فالتمثيل الرائع للغناء المتوسّطي في الثقافة لا يقارب تمثيل الشرقيين في الأكاديميا. فقد أشار بحث أجري في السنوات الأخيرة حول السلك الجامعي إلى أن تسعة بالمئة فقط من المحاضرين هم شرقيون وشرقيات (نتائج البحث صحيحة حتى تشرين الأول ٢٠٠٧). ولذلك فإن غاؤون يعيدنا إلى الوراء مرة أخرى بدلاً من أن يدرك أهمية الاندماج في إطار التعددية الثقافية. أنا لا أفهم لماذا يهاجم الجماهير التي حُرمت من إمكانيات دخول الجامعات، ولكنها لا

جوريبيتس، الذي فاز في احتلال مواقع في قوائم أصحاب المدوّنات الأكثر تأثيرًا في عالم المدوّنات (وعلى سبيل المثال، كواحد من أصحاب المدونات المؤثرين في الثقافة الرقمية في إسرائيل، من قبل مجلة تايم أوت) كتب خبرًا بعنوان «حين تمشي الديدان» في أعقاب الأحداث في مظاهرة ضد المهاجرين الأفارقة في حي هتكفا في تل أبيب. جوريبيتس يستهلّ الخبر هكذا: «في ليل يوم الأربعاء، بعد مظاهرة كبيرة ضد اللاجئين في جنوب تل أبيب – لا أقصد المظاهرة التي جرت مساء يوم الثلاثاء والتي رافقها التحريض من قبل أعضاء الكنيست ميري ريجف، داني دنون وبالطبع ميخائيل بن آري، خرج الرعاع اليهود المتعجرفون لتنفيذ مجزرة صغيرة».

تزال تحتفظ بالقدرة على اتخاذ القرار بصدد المغني الذي تحبّه. يبدو أنه لا بد من مرور جيل آخر كامل حتى نرى التغيير في المجتمع الإسرائيلي.

٢٠١٢

هناك لحظات قليلة يتم فيها الكشف عن الكراهية للشرقيين بكامل بشاعتها، وهذه اللحظات نادرة جدًا لدى ممثلي اليسار الراديكالي. وبعد المجزرة في حي «هتكفا»، توفرت لدينا فرصة ذهبية لكي نكتشف كم هو الجهل وكم هو كبير العنف الموجَّه ضد الشرقيين، وذلك بفضل يوسي جوريبيتس، أحد أصحاب المدوّنات المؤثرين جدًا في الإنترنت. لليسار الراديكالي تاريخ طويل مع اليهود الشرقيين، وقد كُتب عن ذلك الكثير في الماضي. خذوا على سبيل المثال نقد المرحومة فيكي شيران في فيلم «رخصة للحياة». تروي شيران في الفيلم أنها تظاهرت ضد قتل شمعون يهوشواع وذلك كجزء من مقاومة كفار شاليم، بدون ممثلين عن اليسار الأشكنازي. ولكن ناشطي السلام الآن كانوا يتصلون بها كي تأتي للتظاهر معهم بعد مقتل إميل غرينتسفايج. ما الذي تغير منذ ذلك الوقت وحتى اليوم؟ حين يصل ممثل اليسار الراديكالي بالذات إلى حي هتكفا لا يجري بناء علاقات مركبّة واستخدام المعرفة الخاصة بالرواية الشرقية في إسرائيل من أجل قراءة الوضع المركب بصورة عميقة. وبدلاً من ذلك كان من الأسهل استفزاز السكان والمعلقين المنتقدين.

سيكون الوضع مختلفًا لو جرى تدريس كتب مثل «النضال الشرقي في إسرائيل» أو «اليهود – العرب» ضمن مادة البجروت. ليس اليسار الراديكالي مذنبًا في جهله للرواية الشرقية – فالكثيرون في إسرائيل لا يتعلمون شيئًا عن الشرقانية. وحين يلتقون لأول مرّة مع الشرقيين، فإنهم يميلون إلى استخدام العنف. فهم لا يريدون خسارة الامتيازات المتعلقة بالمكانة والثروة الرمزية وأحيانًا الحقيقية الخاصة بكونهم يهودًا أشكناز.

جوريبيتس، الذي فاز في احتلال مواقع في قوائم أصحاب المدوّنات الأكثر تأثيرًا في عالم المدوّنات (وعلى سبيل المثال، كواحد من أصحاب المدونات المؤثرين في الثقافة الرقمية في إسرائيل، من قبل مجلة تايم أوت) كتب خبرًا بعنوان «حين تمشي الديدان» في أعقاب الأحداث في مظاهرة ضد المهاجرين الأفارقة في حي هتكفا في تل أبيب. جوريبيتس يستهلّ الخبر هكذا: «في ليل يوم الأربعاء، بعد مظاهرة كبيرة ضد اللاجئين في جنوب تل أبيب – لا أقصد المظاهرة التي جرت مساء يوم الثلاثاء والتي رافقها التحريض من قبل أعضاء الكنيست ميري ريجف، داني دنون وبالطبع ميخائيل بن آري، خرج الرعاع اليهود المتعجرفون لتنفيذ مجزرة صغيرة».

لكلمة «الرعاع» تاريخ كولونيالي طويل، وفي إسرائيل لهذه الكلمة طبعًا دلائل خاصة بالجمهور الشرقي، وذلك بسبب الطريقة التي بواسطتها يتصور بها الأشكناز جمهور الشرقيين. نفى جوريبيتس الادعاءات ضد العنوان وحاول متكلفًا السذاجة الليبرالية القول إنه لم يقصد الشرقيين أو اليهود – العرب وما شابه ذلك، (ولكنه اتهم منتقديه بالعنصرية تجاه يهود أوروبا: «من الجائز أن نلاحظ أن عنصريتهم لا تتوقف عند الفلسطينيين واللاجئين، بل هي موجّهة أيضًا ضد اليهود من أصل أوروبي»).

ونفى جوريبيتس أيضًا العلاقة بين الديدان والشرقيين. وحين نقرأ عن الرعاع الشرقيين ونعرف من هم الذين شاركوا في المظاهرة في حي هتكفا، لا يمكن إلاّ أن نستنتج أن جوريبيتس يهاجم الجمهور الشرقي في أحياء جنوب تل أبيب. ومع ذلك، لنفترض أن جوريبيتس لم يعرف أن المصطلح «رعاع» هو إشكاليّ، وأنه يصنّف ويسمُ الشرقيين بدون معرفة منه ويستجيب لنظرية المعرفة المضطهِدة التي يخرج لأول وهلة ضدّها ككاتب نقديّ. ولكن حتى لو كانت كراهيته للشرقيين غير واعية، ففي النص

كلمة «الديدان» موجودة في العنوان وكلمة «الرعاع» في الفقرة الأولى، وفي أساس النص تُستخدم بشكل غير واعٍ وسائل التشخيص والتصنيف التي تبني طبقتي الأشكنازية والشرقية ضيّقتين وسلبيّتين.

لقد كان بالإمكان السعي إلى مكان آخر حيث قرر فيه يهودا شنهاف قبل عدة سنوات أن الشرقانية والأشكنازية لا تشكلان ثنائيًا منفصلاً، وإنما هما فئتان تتماسّان في مجالات عديدة.

لنقُلْ مرّة أخرى أننا قرأنا بتسامح حتى الآن، ولكن لا يمكن التغاضي عمّا يردُ لاحقًا: «أولاً، أداء الشرطة. في حالات الاضطرابات والفوضى هناك من الناحية التاريخية تعليمات بإطلاق النيران على السارقين، لأن أعمال النهب على الصعيد المحلي ممكن أن تتدهور وبسرعة لتتحول إلى أعمل نهب بالجملة وعلى نطاق واسع. كذلك فإن أفراد الشرطة الذين يُفترض أن يدافعوا عن الناس إزاء أعمال لينش يقوم بها الرعاع – يُتوقع منهم أن يطلقوا النيران. هذا ما توقعناه، على سبيل المثال من أفراد الشرطة الفلسطينيين خلال عملية اللينش الشهيرة في جنين في بداية الانتفاضة الثانية (المترجم: في الواقع حصل هذا في رام الله). وهذا بالطبع لم يحدث، مثلما لم يطلق أفراد الشرطة النيران على مرتكبي اللينش اليهود الذين رشقوهم بالزجاجات الحارقة خلال أعمال الشغب الكبيرة في طبريا في شهر تشرين الأول ٢٠٠١. فالشرطة تعرف جيدًا ضد من لا يجوز لها استخدام القوة وضد من يُسمح لها باستعمال هذه القوة».

يقول جوريبيتس لنا عمليًا بأنه كان لزامًا على الشرطة أن تطلق النار. لا أن تطلق النار في الهواء، ولا أن تحذّر، ولا أن تتخذ كل الخطوات المطلوبة من الشرطة (قبل استعمال القوة الإنذارية ذات الصلة باحتكار السيطرة على العنف الذي حصلت عليه الشرطة). كان عليها ببساطة إطلاق النار على الديدان. ولمن لم يفهم الأمر، أشير هنا إلى الخطر الناشئ عن الدعوة إلى تصفية الرعاع الذين يقومون بأعمال الشغب، والذين يعرقلون الليبراليين الصهيونيين الأشكناز البيض في محاولتهم خلق عالم سام تسوده حقوق الإنسان، في الشرق الأوسط، وخلق مستعمرةً أوروبية في الشرق الأوسط.

ردّت الناشطة أورطال بن ديان في تدوينة لها على الفيسبوك على أقوال جوريبيتس بعنوان: جوريبيتس وغناء اليسار المعروف. أحد المبادئ التي وجّهتها مفاده أن جوريبيتس يتصرّف مثل دولة إسرائيل: يهاجم ويدّعي أنه الضحية. من خلال معرفتي لأعمال جوريبيتس القيمة (من على منصات مختلفة مثل مجلة ٩٧٢ ومدونته «أصدقاء جورج») توقعت منه التفهّم، الاعتذار ووضع حدّ لهذا الإخفاق التام البائس. ولكن جوريبيتس وأصدقاءه (في التويتر – Twitter) شنّوا هجومًا وحملة قذف (وما يمكن أن نسمّيه تكثيفًا أشكنازيًا للصفوف، مثل الجنرالات الذين يتجندون للدفاع عن زميلهم في الدوريّة الذي تعفّن وفسد). جوريبيتس وآخرون يتهمون الناشطين الشرقيين «باستغلال شرقيّتهم لتحقيق المكاسب» ولكنهم يتعامون عن الحقيقة بأن ثروتهم الرمزية (التي تشمل الثقافة، الأوروبية، معرفة اللغات، وغير ذلك) هي ثروة أشكنازية على الرغم من أنهم يفضلون أن يطلقوا عليها ثروة عامّة.

ثمّة تدوينة أخرى على الفيسبوك لبن ديان تثير الأسئلة حول وصول زوجة جوريبيتس، جَلينَه فاكس، إلى سوق هتكفا، وحول تصوير الفيديو الذي تُرجم جزئيًا إلى الانكليزية وعرض الحادثة بشكل منحاز. ولقد اضطر ذلك جوريبيتس إلى أن يكشف نهائيًا ردّ فعله على النقد الشرقي ضدّه. وفي ردّه على الفيسبوك بعنوان «العنصرية والقومية المتطرفة بقناع اليسارية: كَسْبَتة أورطال بن ديان»[*]، حاول حَرف الأسئلة الصعبة التي توجَّه إليه نحو اتجاه آخر، وأن يسخَفها ويستفزّ الآخرين. جوريبيتس يبدأ بشكل جيد: «أناس غير قليلين لم يستحسنوا التدوينة الأخيرة على الفيسبوك، وبالأساس بسبب الفقرة الأخيرة فيها، لأنها لم تكن مكتوبة بالشكل المناسب. الناس الذين يعملون في مجال الكتابة لا يمتلكون الامتياز ليقولوا أنهم لم يُفهَموا. يجب أن يكون عملهم مفهومًا وإذا لم يكونوا ناجحين في ذلك فإن المشكلة في الأساس هي مشكلتهم. كان لزامًا عليّ أن أوضّح أن ذنب سكان الأحياء بخصوص أوضاعهم هو جزئي، وأن أساس الذنب هو نتيجة أعمال الحكومة...».

يتضح لاحقًا أنه فقط يتظاهر بأنه يعتذر، ولكنه عمليًا يهاجم مرّة أخرى بقوة أكبر. وبدلاً من الوصول إلى استنتاج أخلاقي يستند إلى تحليل اجتماعي مطابق وعميق فإنه يستمرّ في تعاليه ويعتبر نفسه الأفق الكامل لتفسير أعمال العنف القومي اليهودي في فلسطين/ إسرائيل. كيف يريد هذا الليبرالي الأشكنازي النقدي أن تكون أقواله مقبولة لدى اليمين الذي ينتقده، إذا ما كان يستصعب هو ورفاقه في اليسار عقد لقاء وإجراء حوار وإقامة مبنى متعدّد الثقافات.

تحوّل النقد الذي وجّهته إليه بن ديان عند جوريبيتس إلى قومية متطرفة يهودية – عربية. وقد كتب على النحو التالي: «قومية متطرفة يهودية – عربية تتراجع أمامها دائمًا الفلسفة

[*] نسبة إلى بن كسبيت، الصحافي الذي يقدم تحليلات عن ا لعالم العربي لا أساس لها من وجهة نظر جوريبيتس.

الإنسانية. بالنسبة لبن ديان ومن شابهها، الشرقي ليس مذنبًا أبدًا، حتى حين يشارك في عملية اللينش، أو حين يتخيل الاغتصاب علنًا وينهب حوانيت اللاجئين. وإذا ما كان هناك ذنب فإنه ليس ذنبه. فالذنب دائمًا هو ذنب أشكنازيٍّ غريب».

أي أنه بدلاً من التفكير في موقعه ذي الامتيازات في الطبقة التي جرى وصفها فإن جوريبيتس يعتقد أن قدرته، كمعلق ناقد، على التسلل إلى الأحياء تعني خلق موقف أخلاقي عام. بدون التفكير في خليط الهويات الطويل الأمد الذي تقلص في الأحياء، وبخلاف يوسي جوريبيتس، فإن ياعيل بَرْدَه في مقالها «مثل عظْمة في حلق المدينة البيضاء» تفهم السياقات الاجتماعية، الطبقية، الاقتصادية، المدينية والتاريخية التي تنشأ وتتكون المدينة ضمنَها.... النقد المبرّر والمفهوم جزئيًا تحوّل إلى هجوم استفزازي ضد سكان الأحياء. وخلال عدة ساعات، ومن خلال الإعلام المسيطر والشبكة، وكذلك في الإعلام الإلكتروني، عاد سكان حي شبيرا وحي هتكفا ليصبحوا الـ«تشَحْتشَحيم» الأسطوريين و«الرعاع» و«القطيع» العنصري والسكان «الهمَج» العنيفين الذين «فقدوا صورة الإنسان». التفسير الأساس الذي قُدّم للعنف في تلك الليلة مرتبط بعنصرية هذا «القطيع العنيف»...».

جوريبيتس، الصوت الذي يمثل الراديكالية الإسرائيلية، مصرّ على الانفصال عن الحيّز الشرقي، وليس مستعدًا لمواجهة النقد. أقواله في التدوينة الأولى على الفيسبوك، وعدم قدرته على الإصغاء وتطوير حوار بنّاء، يعيدنا إلى عقلية «الفيللا في الغابة» حسب تعبير إيهود باراك في حديثه عن موقع إسرائيل في الشرق الأوسط.

ليست الشمولية التي يمثّلها جوريبيتس، تلك الإسرائيلية الشفافة وذات الامتيازات، موجودة حقًا بدون الشرقيين النقديين. ومن يعتقد خطأ أن الشرقيين يكرهون الأشكناز فهو يتنكر لمحاولاتنا المستمرّة لإيجاد تفسير للأحداث. وبدلاً من الدعوة إلى العنف وإلى تصفية الشرقيين في إسرائيل، نحن نقترح التنديد بالعنف والحوار إلى جانب ذلك. وعلى الرغم من ذلك، وبدلاً من أن نحظى بالإصغاء، فنحن نحظى بمشاهدة علامات أعراض العمى المكتسَب. الحديث يدور عن بناء اجتماعي ينطوي على مميزات مجتمعية تشمل المحافظة، المركزانية الأوروبية والاستشراق، وهو يعزز في نهاية المطاف ويصادق على النظام الاجتماعي القائم لليمين.

خلاصة

بدأت في مقالتي حول تعامل اليسار مع الشرقيين بالحديث عن غياب التمثيل الشرقي في حزبي اليسار «ميرتس» و«الجبهة الديمقراطية»، وتابعت الحديث بعرض تاريخيّ وأنهيت بمثال ملموس عن الفصل والعنصرية داخل اليسار الأشكنازي الراديكالي تجاه الناشطين النقديين. ولكن التعبيرات عن المعاملة القمعية لليهود الشرقيين يمكن مشاهدتها في أمثلة ثقافية أخرى كما أظهرت الأوراق النقدية، تمثيل القضاة، الخطاب الإنترنتي وغير ذلك.

يوجد في إسرائيل تمييز مؤسساتي ضد الشرقيين، وهو مرتبط، كما ذكرت، بعمليات تاريخية خاصة بتوزيع العمل وتوزيع البلدات في المحيط وبالقضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الواسعة التي لا متسع للحديث عنها هنا. وهذا لا يحدث عندنا فقط، ولكن الدول الحديثة السليمة تردّ على مثل هذا التمييز من خلال الإصلاح الاجتماعي. وبدلاً من الاحتفاظ بالصورة القديمة والنمطية نفسها الخاصة بالشرقيين، وهي صورة تبدو مأخوذة من «أفلام البوريكَس» مثل فيلم زئيف ريبَح «السارق من السارق مُعفًى»، يجب علينا التدخل في التاريخ والاهتمام بتمثيل مناسب لكل السكان في الأجهزة والمؤسسات المختلفة. هذا التصحيح مناسب في المجالات التي لم يحقق فيها الشرقيون المساواة والعدالة في التمثيل، مثل المحاكم. في مجالات أخرى جرى هذا التصحيح من تلقاء نفسه كما هي الحال في الموسيقى الشرقية وكرة القدم ومجالات أخرى. يجب على اليسار البدء بعملية الاعتراف والتصحيح إذ ما أراد الحديث عن عدالة اجتماعية شاملة ومتساوية.

[مترجم عن العبرية. ترجمة محمد كيـال]